مكتبة البنين
قسم الدوريات

جامعة قطر
ادارة المكتبات الجامعية
مكتبة الدوريات

حَوْلِيّة كليّة الإنسَانيّات والعُلُوم الاجْتِمَاعِيّة

العدد السابع عشر

١٤١٥هـ / ١٩٩٤م

أساسيات في
منهج دراسة دورة الحياة

د. نبيل صبحي حنا
أستاذ بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

مقدمة :

المطالع للتراث البحثي في مجال دراسة الثقافة سوف يجد اهتماماً متزايداً على الساحة العلمية بدورة الحياة ، خاصة بعد أن نشطت حركة الدراسات الفولكلورية في المنطقة العربية بصفة عامة .

وقد تمثل هذا الاهتمام في تزايد أعداد الكتاب في موضوعات دورة الحياة ، وفي اجراء البحوث ، أو في تسجيل رسائل الماجستير والدكتوراه حيث تتخصص الرسالة في دراسة جزئية أو ظاهرة من الظواهر التي تذخر بها دورة الحياة . كذلك هناك من حاولوا الاسهام في صياغة وتحديد وتنقيح الأساليب المنهجية والأدوات التي تجمع بها البيانات وتصنف وتحلل كما سنذكر فيما بعد .

ولا عجب في تزايد هذا الاهتمام فدراسة دورة الحياة ـ كما يتضح من تسميتها ـ هي ذلك الاطار الذي يحوي ممارسات الناس من الميلاد إلى الوفاة ، فدورة الحياة ظاهرة اجتماعية ثقافية ترتبط بعوامل بيولوجية وتتمتع بقدر من العمومية لاتنافسها فيها ظواهر أخرى عديدة .

من هذا المنطلق ، وادراكاً لهذه الأهمية ، أقدم هذا الجهد المتواضع الذي حاولت فيه توضيح آفاق وأبعاد المنهج في دراسة هذا الموضوع بدءاً من التفكير في الباحث وموقعه من المجتمع الذي يدرسه إلى القدرات التي يجب أن يكتسبها ، والأدوات التي يستخدمها لكي يجمع المعلومة ، ثم كيف يفسرها ويحللها ويقارن

بينها للوصول إلى التعميمات ، ثم التنبؤ بمستقبل الظاهرة . وقد أوليت اهتماماً خاصة لموضوع « الدليل » الذي شاع استخدامه كأداة رئيسية لجمع البيانات .

وناقشت بصورة مستقلة أيضاً فكرة وجود لهجات محلية متنوعة . كيف يتعامل معها الباحث في مرحلة العمل الميداني لجمع المادة ومرحلة التدوين وكتابة التقرير النهائي للبحث ؟

ونظراً لأن التغيرات قد لحقت حتى تلك المناطق التقليدية ، فقد خصصت جزءاً مستقلاً لايضاح ضرورة أخذ التغيرات في الاعتبار عند دراسة دورة الحياة ، وقدمت أمثلة لحدوث تغيرات تكنولوجية وتغيرات في بنية المجتمع وأثرها على تغير ظواهر ثقافية في دورة الحياة .

أما القسم الرابع فقد ناقشت فيه الروافد العلمية التي لاغنى للباحث عن التزود منها عند دراسته لظواهر دورة الحياة ، وهي علم الاجتماع والانثروبولوجيا وعلم النفس وعلوم الطب والصحة .

واختتمت هذا الجهد بثلاثة نقاط محورية هي :

- توجيه الباحث لكي يكون واعياً بجدوى دراسة دورة الحياة .
- التوسع في بحوث المستقبل لكي لاتقتصر دراسات دورة الحياة على مجرد العادات والتقاليد .
- توجيه الانتباه إلى امكانيات وضرورة التفكير في كيفية انتفاع المجتمع من نتائج هذه البحوث .

أرجو أن أكون قد قدمت شيئاً بسيطاً متواضعاً كاسهام في مجال دراسات دورة الحياة .

وفقنا الله ، ، ،

د. نبيل صبحي حنا

المحتويات

- مقدمة .
- فهرست .

أولاً : الباحث وأدواته ومنهجه في دراسة ظواهر دورة الحياة :

- **الباحث** : الانتماء والقدرات .
- **الأدوات والمنهج** : مسألة الأدوات ، ضرورة التفسير ، المقارنة ، والتعميمات ، التنبؤ .
- **الدليل** : صياغة الباحث للدليل ، المتغيرات المجتمعة في اعداد الدليل ، الخبرات الميدانية اللازمة ، الدليل سيد أم خادم ؟

ثانياً : اللهجة المحلية :

- المقصود باستخدام اللهجة المحلية .
- الاهتمام باللهجة في مرحلة الاعداد للعمل الميداني والجمع الحقلي .
- استخدام التعبيرات المحلية في مرحلة التدوين وكتابة التقرير النهائي للبحث .
- هل هو مصطلح أم تعبير ؟

ثالثاً : التغير الاجتماعي ودراسات دورة الحياة :

- الزواج من الأجنبيات : تغير التقاليد .
- المربيات الأجنبيات : اضافات خارجية في عملية تنشئة الطفل .
- تغير عادات وتقاليد الزفاف : استعارة ثقافية .

رابعاً : روافد المعرفة اللازمة لدراسة دورة الحياة :

- المفاهيم والتوجهات السائدة في الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع .
- معطيات علم النفس .
- المعلومات الطبية والصحية .

خامساً : خاتمة وتطلعات :

- لماذا البحوث في دورة الحياة ؟
- بحوث المستقبل ، هل هي عادات وتقاليد ؟
- الجدوى العلمية اضافة إلى التسجيل الثقافي .

- المراجع .

أولاً
الباحث وأدواته ومنهجه

- الباحث : الانتماء والقدرات .
- الأدوات والمنهج : مسألة الأدوات (الجمع بين أكثر من أداة ، المرونة في استخدام الأدوات) ، ضرورة التفسير ، المقارنة والتعميمات ، التنبؤ .
- الدليل .

الباحث
الانتماء والقدرات

الانتماء :

المسألة الجديرة بالمناقشة في أداء العمل الميداني لجمع مادة عن دورة الحياة هي انتماءات الباحث أو الجامع الميداني ، هل هو/ أو هي من أبناء الوطن ، وهل هو/ أو هي غرباء عن الثقافة . ان كل موقف من الموقفين له مميزاته وعيوبه . فالباحث ابن الثقافة يمكن أن يكون مدخله سهلاً إلى دراسة الجماعة ، ويمكن ألا يتحمل عناء الحاجة إلى ترجمة الكلمات والمفاهيم المحلية المستخدمة مثل الباحث الخارجي عن المجتمع وهو قادر أيضاً على فهم الخلفية الثقافية أو الوعاء الثقافي الاجتماعي الذي يحدث فيه الفعل أو توجد به الظاهرة التي يدرسها .

ولكنه أيضاً عرضة لأن يعتبر بعض الظواهر « عادية » لأن الظواهر التي يدرسها تعتبر هي الحياة التي يعيشها فيمكن أن تمر عليه دون التفات قوي مثل الباحث الغريب الذي يلفت انتباهه كل صغيرة وكبيرة[1] .

ونحن في حاجة دائماً أن نذكر أنفسنا ونحن نعمل في الميدان بأن الأخطاء التي يقع فيها **والصعوبات التي يواجهها أبناء المنطقة** يجب الحذر منها دائماً ، كما أن المشكلات التي تواجه الباحث الغريب مثل صعوبة تحقيق قبوله في المجتمع وطريقة تقديم نفسه وشرح مهمته بنجاح بطريقة تضمن تجاوب المجتمع هي كلها مسائل يجب أن تراعى في البحث الميداني . وبصفة عامة نحن في حاجة إلى تعاون الباحث ابن المنطقة مع الباحث الخارجي في أي بحث يجرى .

وسواء كان الباحث من أبناء المنطقة أو كان غريباً فعليه أن يتجنب خطأ **التمركز حول السلالة** ethnocentrism بمعنى ألا ينظر إلى الظواهر والأشياء وأنماط

السلوك السائدة في الثقافة التي ينتمي إليها كما لو كانت هي محور الثقافات أو هي الثقافة الرئيسية التي يقاس عليها كل ما يوجد في ثقافات أخرى ، فكل أبناء ثقافة ينظرون إلى ثقافتهم على أنها الثقافة الصحيحة ، وإلى مقدساتهم كما لو كانت هي المقدسات الوحيدة وإلى أسلوب حياتهم وطرق سلوكهم كما لو كانت هي التي يجب أن تحتذى . ويؤدي هذا الأمر إلى أن يبالغ أبناء كل ثقافة في اظهار ما يميزهم عن غيرهم[٢] .

القـــدرات :

من الطبيعي أنه يصعب حصر القدرات التي يجب توفرها في الباحث في هذا المجال . ولكن هناك عدة قدرات أساسية يمكن أن تقدم كنماذج لما يجب أن يملك الباحث ناحيته :

أ ـ اكتساب القدرة المهنية في العمل الثقافي :

وهي تلك القدرات التي يجب أن يكتسبها الباحث بالمعرفة والمران لكي يستطيع أن يكون متمكناً في اجراء البحث ، وهي تكتسب بالجمع بين المعرفة النظرية والممارسة الميدانية معاً .

ب ـ الخبرات الشخصية :

فهو لن يستطيع أن يصبح باحثاً جيداً ، إلا إذا اكتسبت الخبرة الشخصية من العمل الميداني الذي يقوم به بنفسه ، سواء تحت إشراف آخرين أو بصورة مستقلة ، وكلما زادت كثافة الطلعات الحقلية كلما تعمقت الخبرة .

جـ ـ الالتزام بتقاليد العمل في العلم « العلمية » :

بمعنى أن يكون عالماً ، يلتزم بالمنهج العلمي ، ويعي أغراض الدراسة

العلمية ، ويصدر تقريره النهائي في شكل علمي ويلتزم بأخلاقيات العمل العلمي .

د - الأصالة في التعبير :

لابد أن ينمي الباحث قدراته التعبيرية ، فإذا كان الباحث ملاحظاً جيداً ، وإذا أجاد استخدام طرق البحث المتعارف عليها في التخصص وإذا كان جيد الفهم قوي التحليل لكنه غير متمكن من القدرة على التعبير فلن يستطيع صياغة خبراته ولن يتمكن من توصيلها للناس . بل أن ذلك يمكن أن يؤدي إلى التشكيك في قدراته بصفة عامة لأن عدم القدرة على التعبير قد تضعف المعاني التي يتحدث عنها وتشوهها .

وتنمو وتتحسن القدرة على التعبير بالمران وتلقي الارشاد والتوجيه وبمراجعة ما يقوله وما يكتبه عن طريق من سبقوه في الخبرة[٣] .

الأدوات والمنهج
مسألة الأدوات

أدوات جمع البيانات هي الوسائل التي ستمكن الباحث من جمع مادة وفيرة أو قاصرة . لهذا فإن عناية خاصة يجب أن يوجهها الباحث إلى الأدوات وطرق استخدامها . وينصح الباحث بما يأتي :

١ - الجمع بين أكثر من وسيلة لجمع المادة الميدانية :

يصعب أن نتصور أن وسيلة واحدة كافية لجمع المادة الميدانية عن دورة الحياة ، ويرجع هذا إلى التنوع الشديد الخصب في المادة المتعلقة بها الأمر الذي لايجعل جمع المادة يمكن أن يتم بكفاءة عالية باستخدام أسلوب واحد ، فهناك

العادات وهناك التقاليد ، وهناك أيضاً المعتقدات ، وكلها تحتاج إلى طرق مباشرة وغير مباشرة للجمع والتحليل .

بالاضافة إلى ذلك فإن المادة التي نجمعها بطريقة من الطرق لابد أن نتأكد من صدقها باستخدام طريقة أو أداة أخرى . ذلك أن الهدف ليس جمع مادة ميدانية فقط وانما الهدف أيضاً أن تكون هذه المادة صادقة .

وتتضح أهمية ذلك نظراً لأن هناك العديد من التفاصيل المغايرة التي تروى من الناس عند سؤالهم عن ممارسة واحدة تتعلق بحدث من أحداث دورة الحياة الأمر الذي يحتاج إلى اعادة التأكد من أن ما ذكر من اختلاف يرجع إلى التنوع والتعدد في أشكال الظاهرة أكثر مما يرجع إلى زيف أو عدم دراية من المبحوث .

٢ ـ المرونة في استخدام وتطوير أدوات البحث وأساليب جمع البيانات :

ذلك أن بعض الأدوات والأساليب التقليدية لم تعد صالحة أبداً أن تطبق كما كانت تطبق في فترة سابقة . كما أن ما يصلح للتطبيق منها في دراسة جماعة معينة قد يصلح لا غير في دراسة جماعة أخرى . كذلك فإن الطريقة المباشرة في القاء الأسئلة وتلقي الاجابات قد تصلح لجمع بعض أنواع المادة أو التساؤل عن بعض جوانب دورة الحياة بينما الطرق غير المباشرة لاغنى عنها ولا بديل لها للحصول على أنواع أخرى من المادة ، أو عند التساؤل عن جوانب أخرى من دورة الحياة .

بل الأكثر من ذلك أن كل باحث لابد أن يطور أساليب ليست جديدة تماماً انما مطورة في العمل الميداني ، والواقع أن كل باحث جاد مهتم يندمع في الواقع المعاش ويحاول جمع مادة تفصيلية من واقع وعي بطابع وحياة الجماعة ، سوف يجد نفسه قد أقدم على تطوير الأداة التي يستخدمها لجمع المادة وربما يستحدث الجديد .

لذلك فإن الملاحظات التي تكتب حول البعد المنهجي في البحث من حيث الاعـداد للبحث ، والتهيئـة لنـزول الميدان ، ثم العمـل مع الأخبـاريين

ومشكلاته ، بالاضافة إلى توضيح كيفية التغلب على هذه المشكلات وعلى صعوبات العمل الميداني : مثل كيفية مواجهة الباحث تشكك الناس في مقاصده أو محاولاتهم التخلص من أسئلة . . . هذه كلها ذات قيمة لاتقل أبداً عن المادة قيمة التي تم جمعها عن دورة الحياة ذاتها . . . فهي التي تلقي الضوء على صدق وقيمة المعلومات ، وهي أيضاً تفيد بذاتها في ترشيد الاجراءات المنهجية في بحوث تالية حول نفس الموضوع .

ضرورة التفسير

لم يعد الوقت ملائماً الآن في ظل تقدم علوم دراسة الثقافة ، وفي ظل الضرورة الملحة لأن يكون علم الثقافة له جدواه الواضحة أن نقتصر على الوصف ونهمل المعنى والسبب والأبعاد خاصة بالنسبة لتلك الظواهر التي يظن الناس أنها « غرائب » في حياة الشعوب . واذا كنا يمكن أن ندين من كتبوا عن ثقافات الشعوب تحت عناوين ـ اعتقدوا أنها جذابة ـ تشير إلى الغرابة ، فإن الباحث الذي لايقدم التفسير يعطي للقارىء فرصة أن ينظر للظواهر على أنها غرائب .

ويلاحظ أن فهم الاطار الاجتماعي للسلوك الثقافي (العادات والتقاليد مثلاً) يساعد على التفسير الصحيح ، كما أن التفسير الصحيح لابد وأن يلقي مزيداً من الضوء على الواقع الاجتماعي .

وتبرز أمامنا قضية هامة لابد أن يكون الباحث الذي يقدم التفسير على وعي بها وهي قضية **العلاقة بين المعنى الذي يخلعه الباحث الانثروبولوجي على الظواهر والممارسات وبين المعنى الذي يدركه من يمارسون العادات والتقاليد وغيرها** . فقد اتضح أن بعض الانثروبولوجيين قدموا تفسيرات لأفعال الناس واتضح بعد ذلك أنها غير ملائمة . وترجع صعوبة تقديم تفسيرات للممارسات إلى أمرين :

أولاً : ليست هناك في الواقع مجموعة معان متكاملة يتفق عليها أبناء أي جماعة بالنسبة للممارسات والشعائر التي يمارسونها .

ثانياً : أن بعض معاني الممارسات تكون معلنة وصريحة وواضحة ، بينما معان أخرى عديدة تكون مخفاة وتحتاج إلى أساليب عميقة غير مباشرة للتعرف عليها .

ولكي يتوصل الباحث إلى المعنى الحقيقي للفعل عليه أن يتبع ما يأتي :

أ - أن يبحث عن توزيع المعرفة (معرفة المعنى) لدى الناس ، وأن يبحث عن كيفية تقنينها والميكانزمات المتضمنة في ذلك .

ب - أن يتساءل عن أسباب تجنب الناس لتفسير الظواهر في بعض الأحيان[٤]

جـ - أن يجتهد لكي يعرف كيف يستطيع كملاحظ أن يرى بطريقة أكثر عمقاً . فهو كملاحظ خارجي قد يكون أكثر قدرة على رؤية معاني الأشياء عما يستطيع القائمون بالفعل .

وأود أن أشير إلى أنه إذا لم يستطع الباحث الانثروبولوجي التحقق من صدق المعاني التي يعزوها لأفعال وممارسات الناس بطريقة واضحة تمكن الغير من اعادة التأكد مرة أخرى متى أرادوا فلن يكون تفسيره للظاهرة أو للفعل أكثر من مجرد نتاج لخياله الخصب ، ولكنه لايعبر مطلقاً عن الواقع[٥] .

المقارنة والتعميمات

نظراً أنه كثرت دراسات دورة الحياة في مجتمعات عربية عديدة ، وقد ظهرت نتائجها ونشرت وأصبحت في متناول الجميع فقد أصبحت هناك ضرورة لقيام دراسات مقارنة تعتمد على المادة التي تم جمعها من أكثر من مجتمع ، بحيث تتم المقارنة مثلاً بين عادات الميلاد في مجتمعات متشابهة أو في مجموعة قرى تم جمع المادة منها .

ويرتبط بذلك مباشرة ضرورة التفكير في الوصول إلى تعميمات من خلال الدراسات التي أجريت ، وغني عن التعريف أن أحد أهداف الدراسات العلمية الوصول إلى تعميمات من خلال دراسة الحالات الفردية والواقعية .

ويجب ألا ننكر أو نتجاهل **أن هناك صعوبة في الوصول إلى تعميمات في الظواهر المتعلقة بدورة الحياة** ، نظراً للتعدد والتنوع غير القابل للاحصاء ، للظواهر والممارسات الخاصة بكل مناسبة من المناسبات . فهناك مئات الآلاف من الاجراءات ونماذج السلوك النوعية الخاصة بمناسبة معينة مثل الختان وغيره من الظواهر . ويلاحظ أن هذا التنوع لايوجد بين الظواهر السائدة في مجتمعات متباينة ، بل أنه يوجد داخل المجتمع الواحد ، خاصة تلك المجتمعات التي تتصف بالاتساع والكثافة وتعدد الجماعات المكونة للمجتمع .

وسوف نأخذ مثالاً واحداً وهو « **احتفالات ومراسيم الزواج** » . لكي نوضح كيف تتنوع الممارسات التي تتعلق بها ، ثم نرى كيف ندرسها .

تعد مراسيم واحتفالات واجراءات الزفاف شديدة التباين من مجتمع لآخر ـ كما سبق وذكرنا ـ وهي تتضمن في نفس الوقت جزئيات عديدة يمكن تتبع بعضها بسهولة ، لكن تتبع البعض الآخر يبدو أنه أمراً يحتاج إلى مجهود كبير .

وتكمن الصعوبة في دراسة وممارسات الزواج وتحليلها والوصول إلى تعميمات أيضاً في تحديد وتعريف الزواج لا يتم في كثير من المجتمعات بالاشارة إلى حدث واحد ، أو عندما يتم اجراء زواجي معين سواء كان الاجراء شعائرياً أو اقتصادياً أو . . . . . الخ . فالزواج عبارة عن بناء يتم تأسيسه ببطء عن طريق عمليات عديدة من التراكم المادي والحقوق والالتزامات والشعائر والطقوس وما إلى ذلك[٦] .

لهذا يحتاج الباحث دائماً أن يكون دقيق الملاحظة **فيتعرف على ما يستطيع من العناصر الجزئية المكونة للحدث الثقافي ، مع الاحتفاظ بالصورة الشاملة**

والقدرة على النظرة الكلية التي لاتفصل الأجزاء عن سياقها الطبيعي وعن ارتباطها ودورانها في الفلك العام للمناسبة أو الاحتفال لكي يستطيع أن يقدم تحليلاً عميقاً صادقاً وصورة واضحة تمكن من المقارنة والوصول إلى تعميمات .

التنبـــؤ

الامتداد بطموح الباحث في دورة الحياة إلى أن يستطيع التنبؤ بمستقبل الظواهر التي يدرسها أصبح ضرورة أيضاً . فنحن أحياناً نصف عادات وتقاليد دورة الحياة في الوقت الحاضر ، وقد نشير إلى الصور التقليدية ، لكننا نادراً ما نحاول أن نشير إلى المستقبل .

ربما كان للباحث عذره في الماضي أما الآن فتراث علم الاجتماع يمدنا بعون كبير لكي نستطيع أن نتعرف على كيفية التنبؤ بمستقبل الظواهر الاجتماعية والثقافية . والعمل العلمي عادة تكتمل أركانه إذا استطاع أن يدرس الظاهرة بمنهج ملائم وأن يحدد القوانين التي تتحكم في وجودها على نحو ما ، ثم يؤدي إلى تنبؤ مناسب بمستقبل الظاهرة .

- ولابد أن نذكر أيضاً أن الدراية بالواقع الاجتماعي والوعي بالتطور التاريخي للظواهر موضوع الدراسة (في هذه الحالة ظواهر دورة الحياة » لهو السبيل إلى تنبؤ صادق .

الدليـــل

يعتبر دليل الجمع الميداني من بين أبرز الوسائل التي يستخدم لجمع المادة في موضوعات ثقافية عديدة . وقد درج الباحثون على اعداد واستخدام الدليل بكثافة في المنطقة العربية حتى أنه أصبح أحد الأدوات الرئيسية في جمع المادة الحقلية[٧] .

أما بالنسبة لدورة الحياة (خاصة عادات وتقاليد دورة الحياة) فقد كانت من أهم الموضوعات التي طبق فيها الدليل كأداة للجمع[٨] . وهذا هو السبب في أننا سوف نشير إلى بعض الملاحظات التي يجب أن يكون الباحث على وعي بها في استخدام الدليل .

وأهم هذه الملاحظات ما يأتي :

١ ـ **أن الدليل الذي أعد لجمع مادة عن دورة الحياة عن طريق باحث معين من مجتمع ما في زمن سابق يجب أن يعاد النظر فيه حين نود استخدامه مرة أخرى** ، أو للتطبيق عن طريق باحث آخر . وعلى ذلك فإن تعديل الدليل يجب أن يتم في ثلاثة حالات :

أ ـ عند اعادة استخدامه لدراسة نفس الجماعة في زمن تال .
ب ـ عند اعادة استخدامه لدراسة جماعة أخرى .
جـ ـ عند اعادة استخدامه عن طريق باحث آخر غير الذي أعده .

وعلى ذلك لايجب أن يسر أي باحث بأن يجد دليلاً معداً يستخدمه دون أن يبذل أي جهد ، ودون أن يعيش معاناة « توليد » الأسئلة ـ إذا جاز لنا أن نسميها كذلك ـ . ولا يجب أن تجعل صعوبة صياغة الأسئلة الباحث يتراجع عن أن يشتمل الدليل الذي يستخدمه على أسئلة قام بصياغتها بنفسه . حقيقي أنه لا مانع من استعارة أسئلة من دليل آخر غير الباحث الذي سيطبقه ، لكن لابد أن يكون محتوياً على جهده الشخصي اضافة لما يستعيره من صياغات أخرى .

٢ ـ يرتبط بالنقطة الأولى أن **هناك ثلاثة أبعاد يجب أن يراعيها الباحث عند اعداده للدليل أو استخدامه لأدلة أخرى وهي :**
أ ـ التغيرات التي تحدث للجماعة عبر الزمن في عناصر الثقافة (التغيرات بسبب عوامل تاريخية) .
ب ـ أثر التنوعات الأقليمية على اختلاف عناصر الثقافة .

جـ - أثر تنوع الجماعات البشرية ذاتها من حيث الانتماءات القبلية أو من حيث انقسامها إلى جماعات ريفية وحضرية وبدوية على تنوع العناصر الثقافية .
تتطلب هذه التنوعات المجتمعة خصوصية في اعداد الدليل لكي يكون أكثر ملائمة للجماعة التي يطبق عليها ، وتكون نتائجه نافعة .

٣ - **يتطلب اعداد الدليل خبرة ميدانية سابقة - وان لم يكن ضرورياً أن تكون خبرة مكثفة** . ذلك أن صياغة الأسئلة سوف تكون سهلة وملائمة اذا كان الباحث على دراية بالواقع الذي يعيشه ويحتاج أن يدرسه .

وعلى ذلك فان **الدليل عبارة عن حلقة بين عملين من نفس النوع لكن يختلف كل منهما عن الآخر في الكثافة** . فالدليل يسبقه العمل الميداني ويعقبه أيضاً العمل الميداني . والعمل الميداني في المرحلة الأولى يساعد على « ولادة » الدليل ، ثم يقوم الدليل بدورة في المساعدة على توليد الكثير من المعلومات بسبب أن النقاط التي يرشد إلى البحث عنها سوف تكون عديدة ومتنوعة .

٤ - **أن الدليل أداة نعدها لنستخدمها أكثر منها أداة نخضع لها خضوعاً تاماً وتتسلط علينا** . فوظيفة الدليل تنظيم جمع مادة مكثفة صادقة ولكن ان لم يخدم هذا الغرض فيجب تعديله .

ولعل من أبلغ الارشادات التي تفيد في هذا الموضوع ما ذكره كل من الدكتور/ محمد الجوهري والدكتور/ عبد الله الخريجي عن دليل العمل الميداني كموجة للملاحظة . فهما يقولان : « ان أسئلة ذلك الدليل عبارة عن نوتة عمل لتفتيح الموضوع في ذهن الجامع وليست ملزمة بنصها . كما أنها ليست جامعة مانعة إذ أن له أن يضيف معالجة كل النقط الجديدة التي يرى اضافتها ولم يرد ذكر لها في الدليل . . . ويفيد أعظم الفائدة لو أنه تناول نفس النقطة المسئول عنها من أبعاد ووجهات نظر مختلفة[٩] .

الخلاصـــــة :

أن الباحث هو الذي يصنع الدليل ، وهو الذي يجب أن يعدله وقت أن يرى لذلـك ضرورة ، وأن يستغن عنـه تماماً أو يستبدله بأداة أخرى إذا كان عديم الفائدة أو فائدته محدودة . وبهذا يمكن أن يكون الدليل خادماً مطيعاً أميناً . . . هذا إذا كان الباحث واعياً متيقظاً يدرك **القيمة المحدودة للأدوات الجامدة والقيمة العالية لعقله** . أما بالنسبة للباحث الذي لايتمتع بذلك فسوف يصبح الدليل سيداً مسيطراً يخاف الباحث منه ويخضع له فلا يجني منه إلا أقل الفوائد .

ثانياً
اللهجة المحلية

- مرحلة اعداد الباحث للعمل الحقلي وجمع المادة .
- مرحلة التدوين .

اللهجة المحلية

أصبح المجتمع الحديث هو مجتمع تعدد اللغات واللهجات حتى داخل الوطن الواحد . ويرجع ذلك إلى عمليات الهجرة وكثافة الاتصال بين الجماعات البشرية . لقد أدت كثافة الهجرة وتنقل الانسان إلى أن يضم كل مجتمع جماعات تتكلم لهجات محلية متنوعة ، كما أدت كثافة الاتصال والاحتكاك بالمجتمعات الخارجية إلى تغير بعض جوانب التراث اللغوي لدى الأجيال الحديثة عن الأجيال القديمة خاصة بالنسبة للجماعات التي عاشت فترات طويلة في شبه عزلة .

وتعد قضية استخدام اللهجة المحلية في اجراء البحوث الثقافية على درجة هامة من الحيوية إلى الحد الذي تحتاج فيه إلى مناقشة قبل اجراء البحث .
ويقصد باستخدام اللهجة المحلية ما يأتي :

الأول : أن يستطيع الباحث التحدث بنفس اللهجة السائدة في المجتمع المحلي الذي يدرسه .

الثاني : أن يستطيع التعرف على الكلمات والأسماء والمفردات المحلية المستخدمة للتعبير عن الأشياء .

والهدف من ذلك أن يتمكن الباحث فهم ما يقوله الناس وأن يكلمهم فيفهمونه ، وأن يشرح المعاني ويفسرها حينما تأتي مرحلة التدوين واعداد التقرير النهائي للبحث .

ولاجدال أن استخدام اللهجة المحلية بالمعنى الأول ، أي أن يتدرب الباحث على التحدث باللهجة المحلية لا خلاف على فائدته وجدواه ، ولا يحتاج إلى شرح وتفصيل ، أما الذي سوف نخوض في مناقشته وايضاحه هنا هو المعنى الثاني المرتبط بالمسميات والكلمات المحلية المعبرة عن الأشياء والظواهر .
وسوف نوضح ذلك فيما يتعلق بجانبين :

أ ـ اعداد الباحث الميداني وقيامه بعملية الجمع الحقلي .
ب ـ في التدوين وكتابة التقرير النهائي للبحث .

أ ـ مرحلة اعداد الباحث وقيامه بالجمع الحقلي :

* في المرحلة التي يعد فيها الباحث نفسه لاجراء دراسة عن موضوع يتعلق بدورة الحياة ، يجب عليه أن يقرأ **التراث المتوفر والبحوث السابقة** التي أجريت وتتضمن ايضاحات للكلمات المحلية المعبرة عن الظواهر موضوع الدراسة ، ذلك أن كثير من البحوث درجت على كتابة الكلمات بالعربية الفصحى بجوار اللهجة المحلية . كما أن بحوثاً أخرى تعد قاموساً خاصة يوضع في نهاية البحث يتضمن الكلمة بالعربية الفصحى وما يقابلها باللهجة المحلية .

ومن المفيد أن يستخرج الباحث من هذه المصادرر المدونة ما يتوقع أن يرتبط ببحثه من قريب أو من بعيد ثم يصنفها وفق ترتيب منظم (سواء أكان ترتيباً أبجدياً أو موضوعياً أو غيره) بحيث تشكل الكلمات قاموساً خاصاً به يحاول الرجوع إليه دائماً لحفظ الكلمات ومعانيها لكي يكون أكثر كفاءة في التعامل مع اللهجة المحلية . وتقل بهذا صعوبات الفهم ، ومقاطعته لأبناء المجتمع المحلي وهم يتكلمو . لكي يستفسر عن معنى كلمة .

* من المفيد أيضاً أن يرتب الباحث **لقاءات للمناقشة** مع من أجروا بحوث في مثل هذه الموضوعات أو في موضوعات قريبة منها وذلك للافادة من خبراتهم في الموضوع ، وسوف تساعد المناقشات في هذا المجال على زيادة خبرة الباحث المبتدء في دراسة موضوعات دورة الحياة بالكلمات والتعبيرات والأمثال الشعبية التي تقال باللهجة المحلية حول الموضوع . وتزداد الفائدة إذا حاول الباحث باجتهاد أن يسأل عن المزيد ، فدائماً من يخبر بالمعلومات يدلي بالجزء الذي يتذكره ، أما إذا سألناه عن المزيد فسوف يتمكن من تذكر المزيد .

* لايجب أن يتوقف الأمر على تحصيل المعرفة باللهجة المحلية عن دورة الحياة

من الآخرين ، بل يجب أن يمتد تدريب الباحث إلى النطق والتحدث بنفس اللهجة كما ينطقها أبناء المجتمع المحلي وباستخدام نفس التعبيرات وهذا يتم عن طريقتين :

أ ـ أن يحاول الباحث أن ينطق الكلمات وأن يصيغ تعبيرات تستخدم فيها الكلمات وأن ينطقها جميعاً بصوت عال حتى ولو كان منفرداً لكي يتعود النطق ، وتألف أذنه سماع الكلمة والتعبير المحلي الدال على الظاهرة .

ب ـ ان يتحدث في وجوده مع الآخرين باستخدام نفس الكلمات والتعبيرات دون حرج أو تردد لأن هذا هو السبيل الصحيح لمزيد من الاندماج والنجاح في العمل الميداني . ويلاحظ أن بعض الباحثين قد ينطقون الكلمات بطريقة تثير ضحك الآخرين من أبناء المجتمع المحلي . ولكن لايجب أن يؤدي ذلك أيضاً إلى تراجعه عن النطق . وسوف يتحسن الأداء كلما استمرت الممارسة .

ويجب أن نأخذ في اعتبارنا أن مثل هذه المسائل ضرورة على الرغم من أنها تبدو بالنسبة للبعض كما لو كانت هامشية . وحتى هذه التدريبات على النطق يجب أن يقبل الباحث أن يماثل فيها التمليذ الصغير الذي يتعلم لغة أجنبية . . فهو يحفظ ويخطىء ، ثم يصحح له الناس . . وهكذا إلى أن يتعلم . وبدون ذلك حتى إذا قرأ الباحث قاموساً عن اللهجة المحلية فسوف يظل غريباً عنها . لأن الهوة واسعة بين قراءة اللهجة وبين نطقها .

ملحوظة :

كل ما ذكر من تفاصيل عن اعداد وتدريب الباحث على استخدام الكلمات المحلية يهدف إلى خدمة عمليتي الجمع والتدرين . والتدريب الجيد سوف يؤدي إلى زيادة قدرة الباحث على فهم ما يقال والتحدث إلى الناس ، الأمر الذي

سيمكن من استمرار الحديث والذهاب به إلى آفاق أبعد .

التدوين :

عملية التدوين عملية فنية تتطلب من الباحث أن يدرب نفسه على الجمع بين الكتابة الفصحى وبين ادراج اللهجة المحلية في النص . والمهارة تكمن في وجود حس صحيح لدى الباحث بمقتضاه يستطيع أن يتعرف على توقيت ومكان ادراج الكلمات والتعبيرات المستخدمة في اللهجة المحلية .

وترجع ضرورة الجمع بين الاثنين إلى أن الكتابة بالفصحى تعطي فرصة لمزيد من المتخصصين والقراء أن يفيدوا مما كتب أما إذا اقتصرنا على كتابة كل النصوص باللهجة المحلية فسوف يجدها عدد قليل من الناس ذات معنى ، وسيجدها العدد الأكبر من المستفيدين مجرد طلاسم .

كما أن ادراج كلمات وتعبيرات ونصوص باللهجة المحلية يعطي تصوراً عن الواقع السائد ، ويتيح الفرصة للباحثين أن يتعلموا اللهجة . ويمكن أن تجرى مقارنات للمعاني والمدلولات الخاصة بكل لفظ من الألفاظ المستخدمة في منطقة محلية ما مع منطقة أخرى .

ويجب مراعاة الملاحظات الآتية عند التدوين وكتابة التقرير النهائي للبحث :

أ - ضرورة أن يحدث الباحث **الاتزان المناسب بين استخدام العربية الفصحى واستخدام اللهجة المحلية** . لكن المبالغة في عرض اللهجة المحلية أو أغفالها التام - كما سبق وذكرنا - سوف لايكون مقبولاً .

وفي هذا الموضوع لايمكن وضع قاعدة على الاطلاق ، ذلك أن حس الباحث العلمي هو الذي يتيح له فرصة التعرف على الموضوع الصحيح والحجم النسبي المناسب لاستخدام اللهجة المحلية داخل نص الفصحى .

ب - يجب أن يكون هناك **اتساق في كل أجزاء البحث المكتوب في استخدام الفصحى واللهجة المحلية** . ذلك أن بعض الباحثين يتبعون طريقة معينة في جزء من البحث . وعلى سبيل المثال اذا اتبع الباحث طريقة كتابة الاسم المحلي الشائع في البيئة لظاهرة معينة مثل « العقم » فيجب عليه أن يتبع نفس الأسلوب عندما يتناول ظواهر أخرى في دورة الحياة . ولايجوز أن يستخدم الباحث طريقتين نظراً لأن ذلك يؤدي إلى ارباك القارىء . فاما أن يوضع الاسم المحلي داخل النص في السياق واما أن تفرد قائمة بالكلمات والتسميات المحلية المستخدمة للتعبير عن الظواهر في نهاية البحث .

مصطلح أم تعبير ؟ :

شاع استخدام كلمة « مصطلح » للتعبير عن الكلمات المحلية المستخدمة الدالة على ظواهر دورة الحياة . ولكن هناك وجهة نظر أخرى - وهذا مجرد رأي شخصي - أن مفهوم « مصطلح » يجب أن يظل متميزاً يستخدم للتعبير عن الكلمات العلمية التي اصطلح عليها في تخصص معين ، وهذا يعرف في اللغة الانجليزية بالمفاهيم concepts أو المصطلحات terminology ولايجب أن نوسع من نطاق استخدام كلمة « مصطلح » بحيث تنطبق على الكلمات المستخدمة في اللهجات المحلية للتعبير عن الأشياء أو الظواهر .

في ضوء ذلك يمكن أن نطلق على كلمة الثقافة culture أنها مصطلح ، وكلمة النمط الثقافي cultural pattern أنه مصطلح ، والزواج من الخارج أو الزواج الاغترابي exogamy أنه مصطلح . ولكن لايطلق على استخدام كلمة « البياب » ككلمة معبرة عن الزغاريد ، أو كلمة « المشموم » بمعنى الريحان الأخضر الذي يوضح تحت قدم العروس لكي تدوس عليه وهي داخله إلى بيت الزوجية لكي يكون قدومها سعيداً مباركاً[١٠] . كل هذه تعد كلمات محلية وليست مصطلحات .

ثالثاً
التغير الاجتماعي ودراسات دورة الحياة

- تقاليد الزواج من الأجنبيات .
- المربيات الأجنبيات وتنشئة الطفل .
- تغير عادات وتقاليد الزفاف .

التغير الاجتماعي
ودراسات دورة الحياة

أدى التغير التكنولوجي والمادي إلى حدوث تغيرات اجتماعية عديدة ، منها تلك التغيرات التي حدثت في حياة الأسرة . وامتد هذا الأثر إلى التغير في عادات وتقاليد دورة الحياة بل انها أثرت في ظواهر أخرى ، غير العادات والتقاليد . لهذا وجب على الباحث حينما يزمع أن يدرس دورة الحياة بعاداتها وتقاليدها وما يوجد بها من ظواهر أخرى أن يعي وعياً أساسياً الاطار الأشمل للحياة الاجتماعية وما يحدث فيها من تغيرات ثم يدرس بعمق تلك التغيرات التي تحدث في حياة الأسرة مثل التغيرات في البعد الاقتصادي والبعد المادي والعلاقات بين الآباء والأبناء ومكانة كل جنس بالنسبة للجنس الآخر والتغير الذي يحدث فيها إذ أن كل هذا سوف يؤثر على عادات وتقاليد دورة الحياة . وعلى سبيل المثال فإن طبيعة مكانة كل من الرجل والمرأة في الأسرة التقليدية تؤثر في تحديد تقاليد الاختيار للزواج . « من يطلب من ؟ » ، « ومن ينتظر حتى يطلبه الآخر ؟ » ، ثم « من له حق القبول أو الرفض ؟ » ، فإذا كانت المرأة تشغل مكانة متدنية عن الرجل فسوف تحدد التقاليد أن من حق الرجل أن يتقدم للزواج ومن حق رجال أسرة الفتاة أن يقبلوا أو يرفضوا وسوف تبقى هي صاحبة الشأن والحق بعيدة عن ابداء الرأي . وفي الثقافات التي حدث فيها تغير في مكانة المرأة نحو مزيد من الارتفاع وتأرجحت (بين ماض يغفل حقها وحاضر ينادي بحقها لكنه لايستطيع أن يستوعب التغير) ، كان ابداء رأي الفتاة في الزواج المفضل بالنسبة لها مجرد شكل صوري وواجهة تؤكد المساواة بينما ظلت عمليات الاجبار والقهر تمارس من وراء الستار .

وسوف نحاول هنا أن نذكر بعض الأمثلة العملية لحدوث تغيرات في بناء الأسرة والظواهر السائدة فيها ثم نشير إلى جدوى الوعي بذلك في دراسات دورة الحياة :

١ ـ ظاهرة الزواج من الأجنبيات :

أدت التغيرات التي اجتاحت بعض مناطق الخليج إلى وجود ظاهرة الزواج من الأجنبيات . فتشير بعض الدراسات إلى أقدام الشباب في البحرين على الـزواج من أجنبيات[١١] . الأمـر الذي يجعلنا نفترض تغير عادات الزواج وتغير طابع العلاقة بين الزوجين عن الشكل التقليدي .

وقد أشارت الدكتورة/ موزة غباش إلى الآثار السلبية لاستخدام المربيات في المجتمع الخليجي ، فذكرت أن ذلك يؤدي إلى اضعاف علاقة الطفل بأمه . ويسـاعـد على تعليم الأمهات الاتكالية والاعتماد على الغير ، ثم غرس المربية لعـاداتهـا وقيمهـا الأمر الذي يؤثر على اكتساب الطفل للثقافة والهوية العربية الواحدة الذي يمكن أن يؤدي المرء أن يصبح لا منتمي قومياً ولا ثقافياً[١٥] .

٢ ـ ظاهرة الزواج :

حدثت تغيرات أيضاً في عادات وتقاليد الزفاف في منطقة الخليج ولنأخذ مثـالاً لتغـير هذه العـادات والتقاليد من أسرة البحرين . فقد تم التأثر بثقافات أخرى مثل الثقافات الأوروبية وتم ادخالل عادة « شهر العسل » حيث استبـدل اقـامة حفل كبير مكلف بإقامة حفل زفاف رمزي يعقبه السفر إلى الخارج لقضاء شهر العسل[١٦] .

كذلك أصاب تقاليد حفل الزفاف في البحرين التغير ففي حين كانت الدعوة إلى الحفل تتم عن طريق النساء اللائي كن يقمن بايصالها من بيت إلى بيت يقوم الأهـالي حالياً بطبـع بطاقـات الدعوة وتوزيعها على المدعوين . كما أن الحرية النسبية التي حصـل عليهـا الأبنـاء أعـطتهم فرصة اختيار مكان وطريقة اقامة الحفل ، فقد أصبح مكان الحفلة في المدن هو النادي أو الفندق[١٧] .

رابعاً
روافد المعرفة اللازمة لدراسة دورة الحياة

- المفاهيم والتوجيهات السائدة في الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع .
- معطيات علم النفس .
- المعلومات الطبية والصحية .

روافد المعرفة اللازمة لدراسة دورة الحياة

المفاهيم والتوجيهات
السائدة في الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع

يعد الباحث المهتم بدراسة دورة الحياة هو باحث يعمل في مجال أكبر هو مجال الانثروبولوجيا الثقافية . وهو إذا كان يبحث مسائل ثقافية تتعلق بدورة الحياة ، فهو يبحثها داخل الأسرة التي تعد أحد الموضوعات الرئيسية في دراسات علم الاجتماع ، ولهذا فهو يقف ويضع قدم من قدميه في مجال الانثروبولوجيا والقدم الأخرى في مجال علم الاجتماع .

ومعنى ذلك أن الباحث المهتم بدورة الحياة يجب أن يكون على وعي بالمفاهيم الأساسية والتوجهات السائدة في مجال الانثروبولوجيا ، ثم في مجال علم الاجتماع ، فهو لن يستطيع الاستغناء عنها إذا أراد أن يكون تحليله للظواهر عميقاً .

الثقافة : الكائن الحي :

ولعل أول ما يجب عليه أن يعيه هو فهم طبيعة الثقافة كما تشرحها الانثروبولوجيا الثقافية . فهو لايجب أن ينظر إلى الثقافة كعناصر جزئية متناثرة يستمتع بملاحظتها وتسجيلها ، بل ينظر إليها ككائن حي ينشأ وينمو ويتحرك ويتغير ، ويمكن ملاحظته . . ورصد حركته ، ويتميز هذا الكائن الحي المتميز بالسمات الآتية :

أ ـ **الوحدة والترابط الداخلي** : فهو كائن يرتبط فيه كل جزء بالجزء الآخر ويستمد منه استمراره ويؤثر فيه ويتأثر به . ولهذا فإن دراسة ممارسة معينة يتطلب التعرف على ما يرتبط بها من عناصر جزئية ارتباطاً عضوياً ،

فعادات وتقاليد الزواج ترتبط بالمستوى الاقتصادي من ناحية وترتبط بتاريخ الجماعة من ناحية أخرى .

ب - **الميل إلى حفظ البقاء واستمرار النمو** : فالثقافة تميل إلى أن تحافظ على وجودها واستمرارها . وسوف تبقى عناصر عديدة من تلك التي ندرسها في دورة الحياة مثل المعتقدات الخاصة بالموت تقاوم التغير على مدى أجيال . وحتى هذه العناصر التي يمكن أن تتغير بفعل عوامل عديدة مثل الشكل الخارجي لاحتفالات الزواج تحل محلها عناصر بديلة لكي تبقى الثقافة .

جـ - **العلاقة مع البيئة علاقة حيوية** : فهناك تفاعل دائم بين البيئة الطبيعية والاجتماعية وبين الثقافة وعناصرها . ذلك أن أساليب تنظيم الأسرة وعلاج الطفل الوليد سوف تكون من خلال أعشاب ومواد توفرها البيئة ، كما أن تقاليد الاختيار للزواج يمكن أن تخضع لعوامل بنائية مثل محددات القرابة في المجتمعات القبلية .

أكثر من ذلك أن ما تحتوي عليه الثقافة له جذوره في الهوية العامة للشعب ، فالناس الأحياء يجدون أن الثقافة تعبر عن هويتهم ويرون فيها الجيل بعد الجيل نسق أفكارهم ومعتقداتهم ، ويؤدي استمرار هذا النسق والمعتقدات الذي يشارك فيه الناس إلى تأكيد الروابط التي تجمع بين أبناء المجتمع المحلي[١٨] .

نسبية التعبير : منظار البقاء والاندثار:

من البديهي أن ينتبه الباحث أشد الانتباه إلى فكرة نسبية التغير في عادات دورة الحياة . فإذا عم المجتمع التغير التكنولوجي والاجتماعي فسوف ينعكس أثر ذلك ولاشك على تغير عناصر الثقافة وعلى تغير السلوك الثقافي بصفة عامة والسلوك المتعلق بدورة الحياة بصفة خاصة . فالتغير في عادات الموت مثلا سوف يكون أبطأ

من التغـير في معـظم عادات الزواج . وبعض عادات الميلاد قد تبقى راسخة وغيرها يمكن أن يتغير .

وقد أوضح ذلك الدكتور/فاروق العادلي في دراسته للعادات الاجتماعية في قبلية المهاندة بالخور في دولة قطر التي أجراها سنة ١٩٨١م ، فقد أشار في الجزء الخاص بالثبات والتغير في عادات دورة الحياة إلى أن العادات الاجتماعية المتعلقة بالموت محدودة[١٩] . أما عادات وتقاليد الزواج فقد أشار فيها إلى تغيرات عديدة مثل التغير الذي طرأ على ظاهرة المهر ، وليلة الحناء وحفل الزفاف[٢٠] .

الطهارة والنجاسة : محددات لعلاقات التحاشي :

اذا وضـع البـاحث في مجال دورة الحياة في اعتباره مفهوم الطهارة والنجاسة (النقاء والتلوث) الذي قدمه أميل دوركيم Emily Durkheim فسوف يستطيع أن يرى أشياء كثيرة ربما لم يكن موجها للتفكير فيها . فقد افترض دوركايم أن لكل مجتمع معتقداته ورموزه وشعائره المقدسة ، ويقابل ذلك في نفس المجتمع عالم الأشياء والأحداث اليومية والأفعال النجسة[٢١] . وعادة ما يكون بين الإنسان وبين ما هو نجس علاقات تحاشي avoidance relationship هذه يمكن أن تظهر ظهوراً واضحاً في عادات الميلاد من حيث تجنب أو تحاشي لمس بعض الأشياء الناجمة عن الولادة مثل المشيمة أو مخلفات الولادة . ذلك أن بعض الجماعات تعتبر أن كل مخلفات الولادة نجسه لا يجب الاقتراب إليها ، بل يمكن أن توجد بين الإنسان وبين بعض المقدسات علاقات تحاشي ، فنحن نطالب بأن نقترب بحذر من الأشياء المقدسة ولانتعامل معها مثل باقي الأشياء .

المعاني الكامنة : ضرورة التعرف عليها :

هناك دائماً بعض الأغراض والأهداف الكامنة وراء العناصر الثقافية هي تمثل أغراض الجماعة التي تتحقق عن طريق اختيار وتبني عناصر الثقافة . وحتى تلك

العناصر التي تبدو لنا وكأنها لاترتبط بمعنى أساسي لدى الجماعة أو تخدم غرض وجودي هي ذات معنى يجب أن نبحث عنه .

ويتضح ذلك في مجال دورة الحياة في « تسمية الوليد » . فالأسماء التي تعطى للوليد تختار في معظم المجتمعات من المخزون الثقافي السابق ، ولكن في بعض الأحيان يختار الاسم لكي يحيي ذكرى شخص ما أو مناسبة خاصة . وفي حالات ثالثة يختار الاسم لكي يؤكد بعض السمات التي اكتسبها الطفل الوليد أو تمثلت فيه[٢٢] .

معطيات علم النفس

قد لايتصور الباحث في مجال الثقافة أنه بحاجة إلى أن يتعرف على مجال علم النفس . أو أن بعض المعطيات التي يقدمها علم النفس تعد معطيات ضرورية بالنسبة لدارس الثقافة . اننا اذا استعرضنا التراث العلمي فسوف نجد أن هناك محاور التقاء عديدة بين مجال الثقافة ومجال علم النفس ، بل أن الالتقاء يتم بصورة أعم وأوسع في تلك الدراسات التي دلت على الصلة القديمة بين علماء النفس وعلماء دراسة المجتمع . ولعل ظهور فروع علمية مستقلة تحمل أسماء تشير إلى حتمية ونفع هذا اللقاء مثل دراسات « علم النفس الاجتماعي » ودراسات « الثقافة والشخصية » هي أبرز الدلالات على وجود هذه العلاقة الوثيقة .

والباحث في مجال دورة الحياة هو باحث في الثقافة يرتبط بميدان الانثروبولوجيا الثقافية . وأود أن أشير إلى أن الجمع بين علم النفس والانثروبولوجيا واستخدام المفاهيم السيكولوجية في اجراء الدراسات الانثروبولوجية ليس أمراً جديداً أو دعوة مستحدثة ، فحينما كان مالينوفسكي Malinowski دارساً كانت الانثروبولوجيا وعلم النفس يمثلان معاً مجالاً واحداً للبحث والدراسة . وقد ظهر أكثر من دارس يجمع في نفس الوقت بين التخصص في الانثروبولوجيا وعلم النفس مثل

مالينوفسكي نفسه ، وريفرز Rivers وفندت Wundt ولكن بعد مرور ما يقرب من ٣/٤ قرن ، انفصل كل مجال عن الآخر ، ان علم النفس والانثروبولوجيا يرتبطان بعائلة واحدة حتى أن البعض يذكر أن الانثروبولوجيا وعلم النفس هي مجرد أسماء تطلق على قسمين علميين بالجامعة أكثر مما تشير إلى تخصصين منفصلين[٢٣] .

وسوف نحاول الاشارة هنا إلى كيفية افادة الباحث في دورة الحياة من معطيات علم النفس :

يقسم علماء النفس مراحل حياة الإنسان كتقسيم عام إلى طفولة ونضج وشيخوخة . ثم يعيدون تقسيم كل مرحلة إلى عدة مراحل فتقسم مرحلة الطفولة إلى المهد والطفولة المبكرة والطفولة المتأخرة ، ثم يقسمون المراهقة إلى مراهقة مبكرة ووسطى ومتأخرة . . وهكذا .

ويتحتم على الباحث في دورة الحياة عند دراسته لتنشئة الطفل أن يكون على دراية بهذه التقسيمات والسمات التي تتصف بها كل مرحلة للأسباب الآتية :

أولاً : **يقدم علم النفس مجموعة معطيات تتيح للباحث فرصة فهم خصائص كل مرحلة يمر بها الطفل** . وهذا يساعده على صياغة الأسئلة وملاحظة الظواهر وهو أكثر وعياً بما يجب أن يلاحظ عما لو كان ذهنه خالياً تماماً من أي معرفة عن خصائص كل مرحلة ينمو فيها الطفل .

ثانياً : **يقدم علم النفس معلومات عن طبيعة النمو الجسمي والعقلي والحركي والاجتماعي والنفسي** . وهذا يساعد الباحث على تقييم مدى وعي المجتمع بهذه الأبعاد وهو يقوم بتنشئة الطفل ويتيح له الفرصة أن يقارن بين طبيعة العناصر الثقافية والمطالب الاجتماعية التي يطلبها المجتمع من الطفل في ضوء افتراضه لامكانيات معينة للمرحلة وبين التحديد العلمي الواقعي لطبيعة المرحلة وقدرات الطفل فيها ، ومن هنا يستطيع

الحكم على مدى ملاءمة المادة الثقافية لطابع مرحلة نمو الطفل . ويؤدي التعرف على هذا الجانب إلى مزيد من اثراء التحليل .

ثالثاً : يهتم أيضاً علم النفس بالمشكلات النفسية التي يمكن أن يعاني منها الأطفال مثل مشكلات الخوف والتبول اللاارادي وغيرها . ويؤدي وعي الباحث بهذا الجانب إلى أن يضمن بحثه الاشارة إلى هذه المسائل الهامة التي تؤثر في شخصية الفرد وترتبط في نفس الوقت من قريب ومن بعيد بطابع التنشئة وعناصر الثقافة السائدة . وعلى سبيل المثال فإن ظاهرة الخوف المرضى لدى الأطفال تتسب فيه عمليات التخويف التي يقوم بها الآباء أثناء عملية التنشئة للتخلص من بكاء الطفل أو لاخضاعه لأي أمر لم يكن يريد أن يخضع له .

كذلك أدت أشكال الحرمان من الآباء أو الأمهات سواء بسبب الوفاة أو الطلاق أو عمل الأب لعدة سنوات بعيداً عن الأسرة إلى متاعب نفسية بالنسبة للأطفال .

وبصفة عامة فإن المشكلات النفسية التي يعاني منها الأطفال تتأثر بشكل مباشر بالسلوك الثقافي للكبار في هذه المرحلة . كما تتأثر أيضاً بالأوضاع الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل . ولهذا فإن انتباه الباحث إلى فكرة المشكلات النفسية للطفل سوف يجعله يلتفت إلى العديد من أشكال السلوك الثقافي الكامن في عملية التنشئة الاجتماعية .

ويتضح ضرورة الوعي بمراحل النمو في علاقتها بموضوع التنشئة الاجتماعية الذي يهتم به الباحث في دورة الحياة أشد الاهتمام إذا نظرنا إلى أربعة فروض رئيسية يقدمها علم النفس وتتعلق بنمو الإنسان وبتأثره بالمحيط الثقافي الذي يوجد فيه .

الفرض الأول :

يرى أن كل يوم يمر على الطفل يصبح أكثر تأثراً بأفعال الآخرين ، وتمثل أفعال الآخرين وسلوكهم الثقافي والمواقف التي يتفاعلون فيها ويلاحظها الطفل خبرات يختزنها ، وتصبح العلاقة بين هذه الخبرات وبين سلوكه في المستقبل ، ونموه الأخلاقي ، ودوافعه علاقة مؤكدة ومطلقة .

الفرض الثاني :

أن نمـو الإنسـان ابتـداءاً من مرحلة المهد إلى النضج والشيخوخة ، يعتبر سلسلة من المراحل المتميزة لكل منها سماتها الخاصة ، وحينما يبلغ الكائن كل مرحلة يكون قد تكون الشيء الجديد الذي يمثل مزيجاً بين الخبرات وبين النضوج .

وعلى ذلك فإن هناك ضرورة لأن يهتم الباحث في دورة الحياة بأن يبحث أنماط السلوك الثقافي التي يمكن أن تمثل مخزون الخبرات بالنسبة للشخص منذ مراحل الـطفولة المبكرة . وهنا نكون قد حاولنا ـ من خلال دراسة دورة الحياة ـ رؤية العناصر الثقافية المؤثرة في نمو ونضج الشخصية .

الفرض الثالث :

وهو يعتبر نتيجة طبيعية للفرض الثاني ، ويحدد الفرض أن المرور بنجاح خلال مرحلة معينة من مراحل النمو يجعل أمر الوصول إلى المرحلة التالية ثم عبورها أمراً أكثر سهولة . وعلى العكس من ذلك فإن فشل الطفل في مواجهة متطلبات كل مرحلة والأمَال التي تسند إليه فيها تعرقل عملية الانتقال إلى المراحل الأعلى .

وإذا كان الباحث في موضوع التنشئة الاجتماعية للطفل في المجتمع الذي يقوم بدراستـه على وعي بهذه الحقيقـة فسوف يضمن دليله وأسئلته ما يؤدي به إلى

التعرف على تفاصيل دقيقة في اجراءات التنشئة الاجتماعية مثل : كيف يتعامل من يقومون بتنشئة الطفل معه اثناء مواجهته للصعوبات أو تعرقله في أداء دور تحدده له الثقافة ؟ وكيف يتقبلون صور العجز والقصور في أداء الأدوار في مرحلة معينة ؟ ثم كيف يقومونها .

الفرض الرابع :

وهـو الفرض الأكثر عمقاً وجدلية ، ويتلخص في أن الإنسان يتضح أمامه « الشخص البالغ النموذجي » خلال عمليات التنشئة الاجتماعية طويلة المدى . بحيث يستطيع أن يعرف ماهي سمات البالغ النموذجي في هذا المجتمع . وإذا كانت هنـاك عمليات وقـوى تؤدي إلى تنـافـر النغمات في تحديد سمات البالغ النموذجي . فإن ولادة وظهور الشخصية النموذجية كما تحددها الثقافة ومقدار تبدى السمات الأساسية فيها سوف يعتمد على نوعية الخبرات التي يكتسبها هذا الشخص اثناء مرحلة نموه[٢٤] .

ويدعـو هذا الفرض الباحث إلى أن يضمن دليله عناصر تسأل عن سمات الشخصية التي تود الأسرة أن تراها في طفلها ، وعن عناصر الثقافة التي تلقنها للطفل لتحقيق هذا الفرض ، وتسأل قبل ذلك عن مدى توفر هذا الوعي لدى الأسرة وهي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية والثقافية من عدمه .

كذلك يمكن للباحث أن يتطرق إلى مسألة أساسية وهي مدى ونوعية توفر اتجاهات ومواد ثقافية متصارعة في تنشئة الطفل . ففي بعض الأسر أحياناً تتوفر اتجاهات شديدة التصارع بسبب الفروق بين الأجيال المختلفة التي تتعامل مع الطفل ، وأحياناً بسبب اختلاف التوجهات والمحتوى القيمي لأفراد الأسرة نتيجة تعدد الجماعات المرجعية reference group لافرادها ، خاصة في المجتمع الحديث .

المعلومات الطبية والصحية

يتـطلب الأمـر من الباحث في موضوعات دورة الحياة أن تكون لديه بعض المعلومات الطبية عن الظواهر المتعلقة بموضوع الدراسة . ويكون ذلك بقدر اذ هو لايحتاج إلى دراية بالمسائل الصحية الا في نطاقات محددة ـ سنذكرها الآن ـ إذا ما قارناه بالباحث العامل في مجال الطب الشعبي الذي يحتاج إلى قدر أكبر من معرفة المسائل الصحية .

وترجع هذه الضرورة إلى مايأتي :

* **أن الباحث** في مجال دورة الحياة **يتعرض لمسائل عديدة تتعلق بالصحة** ، فهو في دراسـة **فترة الحمـل** يتعرض لموضوعات صحية بحته مثل الاجهاض ، والـولادة ، والنفاس ، وأمراض الطفل المولود . كذلك في دراسته لموضوع **الزواج** يتعرض لبحث مسائل العلاقات الزوجية وفض البكار ومسائل تمثل تغـيرات بيولـوجية في حياة الـزوجين . ثم يتعرض لفكرة **الشيخوخة** وهي تتضمن عدد من الأبعاد الثقافية والاجتماعية التي ترتبط بالانهيار الفيزيقي للصحة .

أما موضوع **الموت** فهو يرتبط بالأمراض المفضية إلى الوفاة وتحلل الجسم وما إلى ذلك .

وتعـد معـرفـة البـاحث بهذه الجوانب مساعدة له على اعداده لأدوات جمع البيانـات ، كما تسهم في وضـوح الـرؤية أمـامه ولاتجعله غافلاً عن بعض الظواهر الثقافية التي ترتبط أساساً بظواهر صحية .

* لم يعد تناول الإنسان بمنظور تجزيئي متفقاً مع الاتجاهات العلمية الحديثة في دراسة الإنسان . **فالإنسان مكون من أبعاد جسمية ونفسية واجتماعية وثقافية وروحية** ، ويجب أن ينظر إلى أي ظاهرة ترتبط ببعد من أبعاد الجسم في ضوء

المفهوم الشامل الذي يرى هذه الأبعاد الأربعة مندمجة معاً ومتفاعلة تفاعلاً مستمراً . وربما هذا ما جعل الطب يطلق على بعض الأمراض مصطلح الأمراض النفسجسمية Psychosomatic Diseases فهي تلك الأمراض التي تشير إلى ارتباط البعد النفسي بالجسمي والعكس .

لهذا فالباحث في مجال الثقافة لايمكن أن يذهب إلى العمق إذا تجاهل بقية الأبعاد المؤثرة في الظواهر الثقافية وفي سلوك الإنسان الثقافي الذي يهتم به .

المنفعة المباشرة :

أ ـ ويمكن لباحث أن يجني بعض الفوائد العملية نتيجة درايته بالأبعاد الصحية لدورة الحياة . وعلى سبيل المثال تعد معرفة الباحث للمسائل الصحية مساعدة له على اعداده لأدوات جمع البيانات ، خاصة دليل المقابلة ، ذلك أنه طالما أن السلوك الثقافي يدور أحياناً حول مسائل صحية ويرتبط بها فلن يستطيع الباحث الذي يعد دليلاً للمقابلة أن يكون الدليل الشامل إذا نقصت لديه هذه المعرفة .

ب ـ في مرحلتي التحليل والتفسير يمكن أن يقع الباحث في أخطاء في تفسير الظواهر الثقافية أو في توقعاته لنتائج سلوك الناس في مناسبة ما إذا كان يجهل تماماً المسائل الصحية . فهو يمكن أن يتوقع أذى صحي نتيجة تناول الناس لأنواع من المواد الغذائية في الأفراح ، أو يتوقع الضرر البدني للطفل الذي تجرى له ممارسات شعائرية معينة وربما هي لاتؤدي إلى ذلك .

وهناك تحذيراً يجب أن يوجه إلى الباحثين بصفة عامة :

أ ـ أن يبتعدوا عن أية آراء أو تحليلات أو تفسيرات لايكونوا على يقين منها .

ب ـ لايجب أن يقدموا استنتاجات حول أحوال الناس الصحية دون الاستناد إلى حجج علمية .

جـ - يجب أن يلتزموا عندما يكتبوا أية معلومة طبية بتوثيقها بالرجوع إلى مصادر طبية معتمدة .

د - أن يتأكدوا أن ترجمتهم للمصطلحات الطبية صحيحة وذلك بالرجوع إلى القواميس الطبية المعتمدة .

هـ - يفضل أن تتم مراجعة أي مسألة طبية تعرض لها الباحث من أطباء أكاديميين متخصصين . وفي حالة استخدام مواد أو أعشاب (تعطى للأطفال الرضع مثلاً) يمكن أن يستشار الصيادلة .

مصادر المعرفة :

هناك مصادر عديدة يمكن أن يتعلم منها الباحث منها :

١ - **المصادر الطبية الثقافية** : وهي عبارة عن كتب تصدر باللغة العربية تهدف أساساً إلى التوعية الصحية وتتضمن شرحاً لمسائل طبية عديدة . وقد صدرت في المنطقة العربية العديد من هذه الكتب تتناول موضوعات تهم الباحث في دورة الحياة مثل موضوع الختان ، وأمراض الأطفال وغيرها .

٢ - **الكتب والنشرات والمجلات** : تلك التي تصدر عن قطاع الثقيف الصحي بوزارة الصحة . وهي تكون هادفة ومركزة وبياناتها واضحة وصحيحة .

٣ - **المصادر والكتب الأساسية في الطب** : وهذه اذا كان يصعب على معظم الباحثين الاجتماعيين والثقافيين الرجوع إليها نظراً لاستخدامها لمصطلحات طبية غير متداولة الا بين من يشتغلون بالطب ، فإن الفائدة منها تكون محققة نظراً لأنها تقدم المعلومة الطبية بطريقة علمية مفصلة .

خامساً
خاتمة وتطلعات

- لماذا دورة الحياة ؟
- بحوث المستقبل .
- الجدوى العلمية اضافة إلى التسجيل الثقافي للظواهر .

خاتمة وتطلعات
لماذا دورة الحياة

لا يجب أن يتصور أحد أن اختيار دورة الحياة لكي يكون موضوعاً للدراسة هو من قبيل استسهال اختيار الموضوعات وضمان الحصول على النتائج دون عناء . ذلك أن موضوعات دورة الحياة مثلها مثل أي موضوعات أخرى سوف تحتاج إلى جهد في الجمع والتحليل ومحاولة الغوص إلى مزيد من العمق للتعرف على المعاني الكامنة خلف العناصر الثقافية الظاهرة التي قد تبدوا بسيطة بلا عمق .

كذلك لا يجب أن نتصور أن دراسة موضوعات دورة الحياة مجرد نزهة ممتعة يستعرض فيها الباحث شريط حياته منذ الميلاد إلى الممات ، أو انها تتيح فرصة التعرف على أشياء محببة مثل الميلاد والزواج أو أشياء مخفاة مثل الممارسات الشعبية لعلاج العقم أو اجراءات فض البكارة .

كل هذه التصورات خاطئة تماماً ، إذا كانت تمثل أحد الدوافع الرئيسية للباحث فسوف يفشل ويخفق ، واذا كانت تتوارد لدى غير الباحثين فقد جانبهم الصواب . ولهذا فإن الباحث الذي يقدم على اختيار موضوعات دورة الحياة (أو أحدها) للدراسة لابد أن يجيب على الأسئلة التالية اجابات واضحة :

- لماذا دورة الحياة ؟
  بمعنى ما هو الغرض من الدراسة ، وما هي الدوافع ؟

- لماذا في هذا المجتمع بالذات ؟
  ماهي السمات النوعية التي تميز المجتمع بحيث يتوقع أن يرتبط تنوع الممارسات بتنوع طابع المجتمع .

- ما معنى دورة الحياة وماهي أبعادها ؟
  بمعنى أن يحاول الباحث التعرف على الأبعاد الظاهرة الواضحة وعن الظواهر

الكامنة لدورة الحياة ، وأن يتعرف على التفاصيل العديدة التي يحويها .

- كيف أدرس دورة الحياة ؟

أي أن يلتجىء الباحث إلى التعرف على الأساليب المنهجية الأكثر ملاءمة لدراسة هذه الظواهر .

بحوث المستقبل

لوحظ في السنوات الماضية أن معظم الدراسات التي تناولت دورة الحياة إهتمت بجانب العادات والتقاليد فقط ، بينما أهملت جوانب أخرى مثل المعتقدات والثقافة المادية وغيرها . حقيقي أنه أثناء العرض للعادات يحدث تعرض لموضوع المعتقدات أو الثقافة المادية ، مثلما الحال عندما نصف الاحتفال بسبوع الطفل ، أو الاحتفال بالختان ، فإننا نذكر بعض المعتقدات التي تكمن وراء العادات ، أو نذكر بعض الأشياء المادية التي تستخدم في اتمام مراسيم الاحتفال ، ولكن في كل ذلك يكون الاهتمام الأكبر منصباً على دراسة العادات ولا تذكر العناصر الثقافية الأخرى الا بطريقة نادرة وعارضة .

هناك جوانب أخرى عديدة يجب أن تركز عليها البحوث التي تهتم بدورة الحياة منها كما ذكرنا المعتقدات ، ذلك أن المعتقدات تكمن دائماً ـ كما سبق وذكرنا ـ وراء الممارسات والعادات التي نلاحظها يومياً . . بل أن رسوخ العادات واستمرارها غالباً ما يرتبط بمعتقد راسخ مخفي تم توارثه عبر أجيال . وغني عن البيان أن دراسة المعتقدات تساعد على فهم وتفسير بعض العادات التي تبدو غريبة .

أما موضوع الثقافة المادية المتعلقة بدورة الحياة فهو واجب الدراسة أيضاً إذ أن وجه الثقافة المادية هو أكثر الوجوه تغيراً وفق التغيرات العصرية والاقتصادية والتكنولوجية ، فعناصر الثقافة المادية المستخدمة في احتفالات

الزواج مثلاً تتغير بتغير المستوى الاقتصادي ، وتتأثر باستحداث الجديد من التكنولوجيا .

وهناك أحد الموضوعات الهامة واجبة الدراسة هي موضوع « بناء العلاقات » فلابد أن تجرى دراسات توضح الطابع البنائي للعلاقات بين الناس وهي تتضح من دراسة العديد من ظواهر دورة الحياة ، ويكفي النظر إلى عملية التنشئة الاجتماعية للطفل ـ وهي ضمن الموضوعات التي تدرس في دورة الحياة ـ فهي تظهر لنا كيف يتعلم الطفل تنظيم وبناء علاقاته مع المجتمع المحيط من الكبار والصغار ومن الأقارب والأباعد .

الجدوى العملية
في مقابل التسجيل الثقافي للظواهر

لاشك أن هدف التسجيل الثقافي والحفظ الأرشيفي الجيد يعتبر هدفاً من الأهداف العلمية المقبولة . ولكن لابد بجوار ذلك أن يفكر الباحث في الجدوى العملية لدراسة الظواهر الثقافية . حقيقي أن بعض الباحثين يمكن أن يقتصروا على الجمع والتصنيف والتحليل والأرشفة للعناصر الثقافية التي يتم جمعها ، ولكن يمكن أن تقوم دراسات أخرى على الافادة من نتائج الدراسات الأولى في عمليات الاصلاح بصور مختلفة ، وفي العمل على احداث تغيرات في عادات الناس .

- وأود أن أشير إلى أن من يجري الدراسة الأولى (الجمع الثقافي والتحليل) يكون أكثر قدرة على أداء العمل الثاني (رؤية الجدوى العملية لدراسة الثقافة) .

وفي دراسات دورة الحياة يمكن أن يستفاد من نتائج الدراسات في توجيه الناس إلى نبذ المعتقدات أو الممارسات الضارة التي يمارسونها في تربية أطفالهم أو علاج أمراضهم ، مثل العقم ، وموت الأطفال الرضع . . . . الخ .

المراجـــع

المراجع العربية :

١ ـ د.ء علياء شكري ، **الدراسة الميدانية لعادات الطعام وآداب المائدة في الوطن العربي** ، ندوة التخطيط لجمع ودراسة العادات والتقاليد والمعارف الشعبية ، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية ، الدوحة ـ دولة قطر ، سنة ١٩٨٥م .

٢ ـ د. فاروق محمد العادلي ، **الملامح الاجتماعية الأساسية المميزة لدورة الحياة** . دراسة اثنوجرافية للعادات الاجتماعية في قبيلة المهاندة بالخور ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، سنة ١٩٨١م .

٣ ـ د. فاروق أمين ، **دراسة حول واقع الأسرة البحرينية** ، سلسلة الدراسات الاجتماعية « ٣ » ، جمعية الاجتماعيين البحرينية ، البحرين ، سنة ١٩٨٣م .

٤ ـ د. محمد الجوهري ، د. علياء شكري ، وعبد الحميد حواس ، **الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبية** ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، سنة ١٩٧٠م .

٥ ـ د. محمد الجوهري ، د. عبد الله الخريجي ، **طرق البحث الاجتماعي** ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، سنة ١٩٨٣م ، ص ٣٧٨ .

٦ ـ د. موزة عبيد غباش ، **الهجرة الخارجية والتنمية** ، دراسة تطبيقية لآثار الهجرة الوافدة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ، مطبعة الوفاء ، البساتين ، سنة ١٩٨٦م .

٧ ـ وزارة الشئون الاجتماعية والعمل ـ ادارة التخطيط والمتابعة ، **أثر المربيات الأجنبيات على الأسرة الكويتية** ، الكويت ، سبتمبر ١٩٨٣م .

المراجع الأجنبية :

1. Arlene S. Sholnick and Jerome H. Sholnick, Family in the Transaction, little Brown Company, Canada, 1986.

2. Dan Sperper, Anthropology and Psychology, Towards an Epedemiology of Representations, MAN, The Journal of the Royal Anthropological Institute, Vol. 20, No. 1, March 1985.

3. Glass R.M., Huli Names and Naming, ETHNOLOGY, Journal of the Cultural and Social Anthropology, Vol. XXVI, No. 3.July 1987.

4. Laurel Bossen, Toward a Theory of Marriage Transactions, ETHNOLOGY, The International Journal of Cultural and Social Anthropology, Vol. XXVII, No. 2, April 1988.

5. Louis Dumont, Are Cultures Living Beings? German Identity in Interaction, MAN, The Journal of the Royal Anthropological Institute, Vol. 21, No. 4, December 1986.

6. Marry Louis Pratt, Fieldwork in Common Places. in Writing Cultures, ed. by James Clifford and George Marcus, University of California Press, U.S.A., 1986

7. Marvin Harris, Cultural Anthropology, Harper and Row, Second Edition, New York, 1987.

8.Ronald A. Reminick, Theory of Ethnicity, University Press of America, U.S.A., 1983

8.Simon Charsley, Interpretation and Custom: The Case of the Wedding Cake, MAN, The Journal of the Royal Anthropological Institute, VOl. 22, No. 1, MArch 1987.

10. Soraya Altorki, The Antropologist in the Field: A Case of Indigenous Anthropology, In Indigenous Anthropology in Non-Western Countries, ed. by Hussein Fahim, Carolina Academic Press, U.S.A. 1982.

الهوامش :

١ ـ أنظر المناقشة الجادة التي قدمتها ثريا التركي لمسائل عديدة تواجه الباحث ابن المنطقة حينما يود القيام بعتمل ميداني . اذ واجهت هي نفس الموقف حينما عادت إلى مجتمعها ـ المملكة العربية السعودية ـ وحاولت أن تدرس مكانة المرأة التي تنتمي إلى عائلات الصفوة (ادراكها لنفسها) . في مدينة جدة :

Soraya Altgorki, The Antropologist in the Field: A Case of Indigenous Anthropology, From Saudi Arabia, in Indigenous Antropology in Non-Western Countries, ed. by Hussein Fahim, Carolina Academic Press, U.S.A., 1982, 167-165.

٢ -

Ronald A. Reminick, Theory, Theory of Ethnicity, University Press of America, U.S.A., 1983, P. 7.

٣ ـ ورد اختصار للعناصر المذكورة عن قدرات الباحث في سياق آخر في المرجع التالي :

Marry Louise Pratt, Fieldwork in Common Places, in Writing Culture, ed. by James Cifford and George Marcus, University of California Press, U.S.A., 1986, P. 29.

٤ -

Simon Charsloy, Interpretation and Custom: The Case of the Wedding Cake, MAN, The Journal of the Royal Anthropological Institute, Vol. 22, No. 1, March 1987, P. 94.

٥ -

Op. Cit., P. 108.

٦ -

Laurel Bossen, Toward a Theory a Theory of Marriage, the Economic Anthropology of MArriage Transactions, ETHNOLOGY, The International Journal of Cultural and Social Anthropology, Vol. XXVII, No. 2, April 1988, P. 127.

٧ ـ هناك أكثر من دليل حاول من اهتموا بالعمل الميداني الثقافي أن يعدونه حول موضوعات معينة مثل الطب الشعبي والمعتقدات وغيرها . وقد تم نشر بعض هذه الجهود بحيث يستطيع الباحث أن يفيد منها ، مثل الدليل المعنون « الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبية الذي سوف نشير إليه في الفقرة التالية ، ودليل الدراسة الميدانية لعادات الطعام وآداب المائدة في الوطن العربي » الذي قدمته الدكتورة/ علياء شكري في ندوة التخطيط لجمع ودراسة العادات والتقاليد والمعارف الشعبية . بالدوحة قطر . ونشره مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية ضمن سلسلة الندوات المنشورة عن التخطيط لدراسة التراث الشعبي لمنطقة الخليج والجزيرة العربية ، من يناير سنة ١٩٨٥م . وقد وقع هذا الدليل (الأسئلة والايضاحات المتعلقة) به في ٨٥ صفحة (صفحات ٧٩ ـ ١٦٤) .

٨ ـ ومن الأمثلة البارزة لمحاولات اعداد دليل لجمع المادة العلمية عن دورة الحياة الدليل الذي أعده

كل من الدكتور/ محمد الجوهري والدكتورة/ علياء شكري والأستاذ/ عبد الحميد حواس ، بعنوان « الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبية » ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة سنة ١٩٧٠ ، ويقسم الدليل دورة الحياة إلى التقسيمات الثلاثية الكبرى (الميلاد ـ الزواج ـ والوفاة) ، ويقدم للقارىء مئات الأسئلة ، ويلفت نظره أيضاً إلى مئات المسائل التي يجب أن يبحثها في الموضوع .

٩ ـ د. محمد الجوهري ، د. عبد الله الخريجي ، طرق البحث الاجتماعي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، سنة ١٩٨٣م ، ص ٣٧٨ .

١٠ ـ فاروق محمد العادلي ، الملامح الاجتماعية الأساسية المميزة لدورة الحياة ، دراسة اثنوجرافية للعادات الاجتماعية في قبيلة المهاندة بالخور ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة سنة ١٩٨١م ، ص ١٥٤ .

١١ ـ فاروق أمين ، دراسة حول واقع الأسرة البحرينية ، سلسلة الدراسات الاجتماعية « ٣ » ، جمعية الاجتماعيين البحرينية ، البحرين ، سنة ١٩٨٣م ، ص ٦١ .

١٢ ـ موزة عبيد غباش ، الهجرة الخارجية والتنمية . دراسة تطبيقية لآثار الهجرة الوافدة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ، مطبعة الوفاء ، البساتين ، سنة ١٩٨٦م ، ص ٢٣٠ .

١٣ ـ فاروق أمين ، المرجع السابق ، ص ٧٨ .

١٤ ـ المرجع السابق ، ص ٧٩ .

١٥ ـ

Louis Dumont, Are Cultures Living Beings? German Identity in Interaction, MAN, The Journal of the Royal Anthropological Institute, Vol. 21, No. 4, December 1986, P. 587.

١٦ ـ د. فاروق محمد العادلي ، المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

١٧ ـ د. فاروق محمد العادلي ، المرجع السابق ، أنظر عادات الزواج ، ص ١٨٨ ، ١٩٤ .

١٨ ـ

Marvin Harris, Cultural Anthropology, Harper & Row, Second Edition, New York, 1987, P. 259.

١٩ ـ

Glasse R. M., Huli Names and Naming ETHNOLOGY, An Intenational Jounal of Cultural and Social Anthropology, Vo. XXVI, No. 3, July 1987, pp. 205, 206.

٢٠ ـ

Dan Sperper, Anthropology and Psychology, Towards an Epidemiology of Representations, MAN, Journal of the Royal Anthropological Institute, Vol. 20, No. 1, March 1985, P. 73.

٢١ ـ

Arlene S. Sholnick and Jerome H. Sholnick, Family in Transaction, Little Brown Company, Canada, 1986, P. 373.